الدفقة السابعة

زيارة الأولياء والتوسل بهم

١- الاعتراض الأول : شد الرحال إليهم غير مباح

٢- الاعتراض الثانى : أن هذه المشايخ لاتملك لنفسها نفعاً ولا ضراً

- جواز التوسل بالنبي - ﷺ -
- توسل الصحابة برسول الله - ﷺ - حياً
- توسل الصحابة برسول الله - ﷺ - فى قبره
- جواز التوسل بالصالحين أحياء
- التوسل بالصالحين وهم فى قبورهم
- سؤال للمذكرين.

٣- الاعتراض الثالث : المقبولون عند الله – سبحانه وتعالى – من أخبر عنهم رسول - ﷺ -

أ- الحديث الأول :إذا أحب الله العبد

ب- الحديث الثاني : وجبت

زيارة الأولياء والتوسل بهم

الذين يعترضون على زيارة أولياء الله ، أو شد الرحال إليهم ، لهم ثلاثة اعتراضات من وجهه نظرهم القصيرة ، وبصيرتهم العمياء وهذه الاعتراضات الثلاثة كالآتي:

١-الاعتراض الأول :- إن شد الرحال أو السفر إليهم يخالف حديث الرسول - ﷺ - لا تشد الرحال " وقد رددنا عليه فى بداية الرسالة

٢-الاعتراض الثاني : أن هؤلاء المشايخ أو الأولياء لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا ، فكيف تنفع غيرها . وهذا الاعتراض مردود عليه ،فقولنا لهم : انتم تظنون أن الموتى "المنتقلون " معدومون أي انتهى أمرهم ،لكن النبي - ﷺ - بين أن أرواح الموتى تسمع وترى وتدرك ، فالميت " المنتقل " روحه حيه ، فالروح لا تموت ؛ ولذلك النبي - ﷺ - أمرنا عند زيارة الموتى أن نقول " **السلام عليكم دار قوم مؤمنين ،وآتاكم ما توعدون غداً مؤجلون ،وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ،اللهم أغفر لهم** " رواه مسلم –عن عائشة – رضى الله عنها – ، وكان النبي - ﷺ - يقول هذا السلام عند زيارة الموتى "المنتقلون " ، فكيف يسلم عليهم النبي - ﷺ - إن لم يكونوا أحياء فى قبورهم ؟ وهل يصح السلام على جماد ؟إذن أرواح الموتى موجودة فى قبورهم ، وتتصل بهم وتنفصل كما شاء الله . وقد أثبتنا قبل ذلك حياة الأولياء فى قبورهم ،قلنا إنهم مثل الأنبياء والصديقين والشهداء أحياء فى قبورهم يرزقون ،رزقاً لا يعلمه إلا لله ، لذلك عندما ما أتوسل بالأنبياء أو الصديقين والشهداء أو الأولياء ،فأنا لا أتوسل بأموات كما يدعى هؤلاء المتشددون بل أتوسل بأحياء عند ربهم يرزقون ويسمعون ويدركون كل ما أقوله لهم ، ليس لأنهم يملكون الضر والنفع ،لكن لقربهم من الله ،فأنا أطلب منهم التوسل إلى الله ليقضى حاجتي ،فهم قريبون من رحمة الله ،بحبهم له وحبه لهم ،وأنا لست قريب مثلهم

وفى الحديث الشريف الذي رواه الإمامان مسلم وأحمد عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله - ﷺ - :- " **الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه يا رب يا رب ،ومطعمة حرام ومشربه حرام ، وغذى من حرام ،فأنى يستجاب له** " ، وأنا جئت لهذا الولي الذي فى قبره أتوسل به عند الله سبحانه وتعالى – عسى الله أن يقبل دعائى ،ويهدينى إليه .

ليس هناك أحد من الخلق يملك لنفسه شيئا ،فمن باب أولى لا يملك لغيره شيئا لا نفعاً ولا ضراً ،وأن زيارة الولي أو النبي إنما هي اقترُب من الرحمة ، لأن الرحمة على الولي أو النبي لا تنقطع ،سواء كان حيا أو فى قبره ،وقد تنالك هذه الرحمة ،وكل ما يستطيع لك الولي أو النبي أن يدعو الله – سبحانه وتعالى - لك والله هو المجيب ،فقد كان النبي - ﷺ - ويطلب من الله قضاء حوائج الصحابة والفاعل الحقيقي هو الله- جل وعلا - والزيارة قد تكون سببا لقضاء هذه الحوائج .

إن التوسل لا يكون بالنبي فقط أو الأولياء الذين فى قبورهم ،ولكن التوسل يكون بجميع الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وكل شخص أتوسم فيه خيراً ،أطلب منه الدعاء لى ،وهناك الكثير من الشواهد التى تجيز التوسل بالصالحين سوٌاء الأحياء منهم أو الذين فى قبورهم بجانب التوسل بالأعمال الصالحة ،وسنتحدث عنها بالتفصيل الآن : -

جواز التوسل بالنبي - ﷺ - حيا أو فى قبره .

فقد كان رسول الله - ﷺ - يعلِّم صحابته التوسل به :-

أ- ففي الحديث الصحيح عن عثمان بن حنيف – رضي الله عنه – أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان – رضي الله عنه - فى حاجة فكان عثمان لا يلتفت إليه ، ولا ينظر فى حاجته ،فلقي عثمان بن حنيف ،فشكا إليه ذلك ،فقال له عثمان

بن حنيف :- ائت الميضأة ،ثم ائت المسجد فصل ركعتين ،ثم قل "اللهم إنى أسالك ، وأتوجه إليك بنبينا محمد . - ﷺ - نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه بك الي ربي فيقضي لي حاجتي ، وتذكر حاجتك ، فانطلق الرجل فصنع ما قال له عثمان بن حنيف ثم أتي عثمان بن عفان – رضي الله عنه – فجاء البواب حتي أدخله علي عثمان بن عفان – رضي الله عنه – فأجلسه على الطنفسة [1]، وقال :- ما حاجتك ؟ فذكر حاجته، فقضاها له ، ثم قال له :- ما ذكرت حاجتك حتى الساعة ، وقال :- ما كان لك من حاجة فائتنا ، ثم إن الرجل خرج من عنده ، فلقي عثمان بن حنيف، فقال له : جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ، ويلتفت إليَّ ، قال عثمان بن حنيف : والله ما كلمته ، ولكني شهدت رسول الله - ﷺ - وأتاه رجل ضرير[2]، فشكا إليه ذهاب بصره ، فقال له النبي - ﷺ - :- أتصبر ؟ فقال يا رسول الله ليس لي قائد ، وقد شق علي ، فقال له النبي - ﷺ - **ائت الميضأة فتوضأ ، ثم صل ركعتين ، ثم ادع بهذه الكلمات :- اللهم أني أسالك وأتوجه أليك بنبيك نبي الرحمة . يا محمد أني توجهت بك الي ربي في حاجتي هذه فتقضي ، اللهم فشفعه في . فقال أبن حنيف راوي الحديث، فوالله ما تفرقنا،وطال بنا الحديث حتي دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط "**

رواه الطبراني وقال صحيح ورواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ، ورواه الترمذي وقال صحيح الإسناد

---

١ - الطنفسة : البساط

٢ - ضرير : أعمي

ب – إن النبي – ﷺ – حين دفن السيدة فاطمة بنت أسد – رضي الله عنها – قال : **اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ولقنها حجتها ، ووسع مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين قبلي "**

رواه الطبراني وأبن حبان وأبو نعيم والسيوطي في الجامع الكبير

ج- روي البيهقي في الدلائل والطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك ، عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال :- قال رسول الله – ﷺ – :- **لما اقترف أدم الخطيئة قال :- يا رب أسالك بمحمد إلا غفرت لي ، فقال الله تعالي :- يا أدم كيف عرفته ولم أخلقه ؟ قال :- يا رب إنك لما خلقتني رفعت رأسي، فرأيت علي قوائم العرش مكتوباً " لا إله إلا الله ، محمد رسول الله " فعلمت أنك لم تضف الي اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله تعالي:- صدقت يا أدم أنه لأحب الخلق إليَّ ، وإذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك .**

توسل الصحابة برسول الله - ﷺ - حياً :-

أ- روي البخاري عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أنه كان يتمثل بشعر أبي طالب :-

وأبيض يستسقى الغمام[1] بوجهه

ثُمال[2] اليتامى عصمة[3] الأرامـــل

قال ابن عمر ربما ذكرت قول الشاعر ، وأنا أنظر الي وجه النبي – ﷺ – يستسقى[4] فما ينزل حتي يجيش[5] كل ميزاب[6] .

رواه البخاري وأحمد وأبن ماجه .

---

١ - الغمام : السحاب
٢ - ثمال : ملجأ وغياث
٣ - عصمة : حمي وحفظ
٤ - يستسقي : يطلب المطر
٥ - يجيش : يتجمع
٦ - ميزاب : مجري للماء

لاحظ معي :-

قول سيدنا عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما -يدل علي أن الصحابة-رضوان الله عليهم- كانوا يتوسلون بالنبي- ﷺ -إذا أجدبوا ، وقد استمروا علي ذلك حتي بعد وفاته - ﷺ -إذ دأبوا علي التوسل بمن يرون فيه التشرف والصلاح ، والقرب من الله تعالي،وقرابة النبي- ﷺ - .

****

ب-عن أنس – رضي الله عنه – أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، فقال :- " **اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقنا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فيسقون** " رواه البخاري

توسل الصحابة برسول الله - ﷺ - في قبره :-

أ- فقد أصاب الناس قحط في زمن الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فجاء الصحابي بلال بن الحارث – رضي الله عنه – إلي قبر النبي - ﷺ - فقال :- " يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم هلكوا ، فأتي -ﷺ- بلال بن الحارث في المنام ، فقال له " ائت عمر فقل له إنكم مستسقون فعليك بالكفين(بالدعاء) " فبكي عمر عندما سمع ذلك ، وقال " يا رب ما آلوا إليك إلا ما عجزت عنه " ذكره البيهقي في دلائل النبوة .

ب-وذكر العلامة ابن حجر العسقلاني في كتابه " الإصابة في تمييز الصحابة " :- عن الإمام علي – كرم الله وجهه – قال " قدم علينا أعرابي بعدما دفن رسول الله - ﷺ - بثلاث أيام فرمي بنفسه علي قبر رسول الله - ﷺ - وحثا علي رأسه من ترابه ثم قال " قلت يا رسول الله فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله – عز وجل – فوعينا عنك ، وكان فيما أنزل إليك " ... وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ

وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾" [1] وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي ، فنودي من القبر قد غُفر لك .

ذكره القرطبي في تفسيره والقاضي عياض في الشفاء .

****

جواز التوسل بالصالحين وهم أحياء :-

أ- كما توسل الصحابة بعم الرسول - ﷺ - العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - وتوسل معهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - للاستسقاء به ، كما ذكرناه سابقاً .

ب-عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال :- " أستأذنت النبي - ﷺ - في العمرة فأذن لي ، وقال : **لا تنساني يا أخي في دعائك ، فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا ، وفي رواية قال :- " أشركنا يا أخي في دعائك "**

حديث صحيح رواه أبو داود والترمزي وقالا " حديث حسن صحيح .

ج- وروى الإمامان البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - وعن أسير بن عمر ، ويقال له ابن جابر قال :- " كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إذا أتي عليه أمداد اليمن سألهم ، أفيكم " أويس بن عامر " حتي أتي أويس - رضي الله عنه - فقال له :- أنت أويس بن عامر ؟ قال : نعم ، قال : من مراد من قرن ؟ قال : نعم قال : فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم ؟ قال نعم ، قال : ألك والدة ؟ قال : نعم ، فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سمعت رسول الله - ﷺ - يقول :- **يأتي إليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد بن قرن ، كان به برص**

---

١ - (سورة النساء آية ٦٤)

فبرأ منه إلا موضع درهم ، له والدة هو بها برٌّ ، لو أقسم علي الله لأبره ، فإن استطعت أن يستغفر لك فأفعل "

وفي رواية الإمام مسلم عن أسير بن جابر – رضي الله عنه – أن أهل الكوفة وفدوا علي عمر – رضي الله عنه – وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس القرني ، فقال عمر – رضي الله عنه – هل هنا أحد من القرنيين ، فجاء ذلك الرجل الذي يسخر من أويس ، فقال عمر : إن رسول الله - ﷺ - قد قال :- **إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس ، لا يدع باليمن غير أم له ، فقد كان به بياض ، فدعا الله فأذهبه إلا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم " .**

وفي رواية للامام مسلم أيضاً :- عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه قال :- سمعت رسول الله – ﷺ - يقول :- " **إن خير التابعين رجل يقال له أويس ، وكان به بياض ، مروه فليستغفر لكم "**

****

التوسل بالصالحين وهم في قبورهم :-

أ- كان الإمام الشافعي – رضي الله عنه – ببغداد يتوسل بالإمام أبي حنيفة النعمان – رضي الله عنه – فيجيء إلي قبره ، فيسلم عليه ، ثم يتوسل به إلي الله تعالي في قضاء حاجاته .

" كتاب الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة لابن حجر العسقلاني "

ب- يقول الإمام الشافعي عن قبر موسي الكاظم بالعراق وهو من نسل سيدنا علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – " قبر موسي الكاظم ترياق مجرب " أي يجاب فيه الدعاء .

" كتاب الخيرات الحسان في مناقب الشافعي لابن حجر العسقلاني "

ج- قصة حدثت حقيقة توضح معنى التوسل ورد على المنكرين لهذا التوسل ، وقد سمعتها بنفسى من صديق لى :- عن رجل يطيل المكوث والتوسل بالسيدة زينب – رضى الله عنها – لقضاء حاجة معينة ، ولما طال مكوثة وتوسله فى مسجد السيدة زينب – رضى الله عنها – انقلب توسله إلى عتاب للسيدة زينب – رضى الله عنها – بانها لا تسمعه أو نسيته إلى غير ذلك ، وفى أثناء ذلك العتاب أخذته سنة من النوم ، فرأى السيدة زينب – رضي الله عنها – فى المنام تقول له :- لماذا تعاتبنا ؟ نحن ندعو، والله هو الذى يستجيب ".

لاحظ معى :-

هذه القصة فيها رد على الذين يتهمون الناس بالشرك ، وأنهم يعبدون الأولياء من دون الله ، وأن الأولياء معدومو الحياة لا يسمعون ولا يدركون ، فالله هو المجيب ، والأولياء ما هم إلا أناس مجابو الدعاء ، نطلب منهم الدعاء لنا .

****

سؤال للمنكرين :-

هل لو طلبت من شخص أعرف أنه صالح مجاب الدعاء سواء كان حياً أو في قبرة الدعاء لي لقضاء حاجاتي يعتبر غير مباح أو شرك ؟ مع أن الكثير من الصحابة فعلوا ذلك ، حتي رسول الله نفسه – ﷺ – فعل ذلك مع عمر بن الخطاب ، وطلب منه الدعاء له .

****

٢- الاعتراض الثالث :-

المقبولون عند الله هم الذين أخبر عنهم رسول الله - ﷺ - مثل أبي بكر وعمر ، وبعض الصحابة المبشرين ، ولكن هؤلاء المشايخ أو الأولياء من عَّرفك أنهم صالحون ، وأنهم مقبولون ؟ فليس عندك دليل علي ذلك من كتاب أو سنة .

أقول لهم الصالحون رحمة الله لا تفارقهم ، فإذا زرتهم وجلست إليهم بأدب لابد أن تنالك هذه الرحمة ، والرحمة نازلة من الله – عز وجل - ، ولكن من أين عرفت أن صاحب هذا القبر صالح أو ولي ، ولم يرد ذلك فى كتاب أو سنة ، بل إن الحكم على شخصى بأنه صالح من خلال جماعة المسلمين ، كما علمنا رسول الله - ﷺ - وهذان حديثان يثبتان ذلك مع التعليق عليهما :-

الحديث الأول :-

روى الإمام البخاري عن أبى هريرة – رضي الله عنه – عن النبى - ﷺ - قال :- " **إذا أحب الله العبد نادى جبريل ، إن الله يحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ، فنادى جبريل فى أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض** " (حديث رقم ٣٢٠٩)

لاحظ معى :-

أليس هؤلاء الذين تعترضون عليهم من الأولياء والصالحين لهم القبول فى الأرض ، والكثير من المحبين لهم فى كل مكان وفى كل بقعة ، وتهفو إليهم القلوب لزيارتهم من كل حدب وصوب ، ألا يدل ذلك على أنهم أولياء لله .

****

الحديث الثاني :-

روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – يقول :- مروا بجنازة فاثنوا عليها خيراً ، فقال النبي - ﷺ - : **وجبت ، ثم مروا بأخرى فاثنوا عليها شراً ، فقال :- وجبت ، فقال عمر بن الخطاب :- ما وجبت ؟ قال رسول الله - ﷺ - هذا أثنيتم عليه خيراً ، فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله على الأرض** " . " حديث رقم ١٣٦٧، ٢٦٤٢ "

****

لاحظ معى :-

يا من تنكرون وتعترضون على الأولياء ،هل تسمعون عن الأولياء غير كل خير ، فالناس تتناقل أخبارهم وأدعيتهم وأعمالهم وأقوالهم وسيرتهم جيلا بعد جيل،ويقتدون بهم، ويتمثلون بهم،ويحبونهم وتهفوا القلوب إليهم ،تشهد لهم بالولاية ، أليس هذا دليلا على ولايتهم وقبولهم عند الله ، وإذا كانت هناك مخالفات تدور حول قبورهم ، فليس العيب فى الأولياء ، ولكن العيب فى الناس .